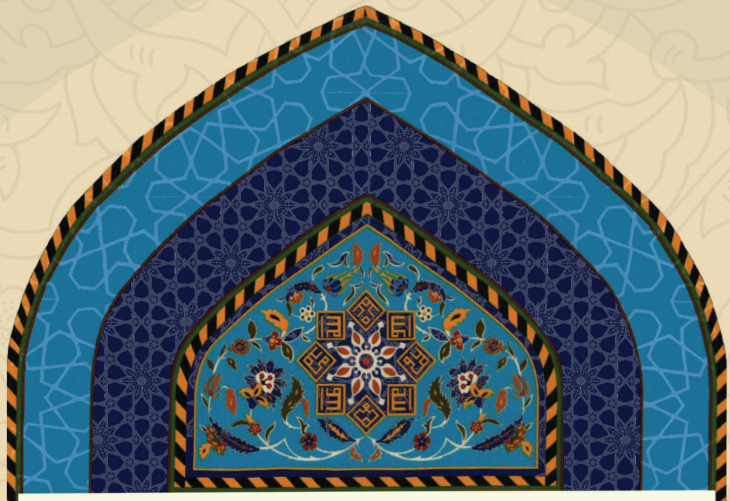

الخطاب القرآني عند الإمام علي الهادي عليه السلام قراءة تحليلية

Quranic Discourse by Imam Al-Hadi (PBUH): An Analytical Reading

أ.م.د. عمّار حسن عبد الزَّهرة

مديريَّة تربية كربلاء

Assist. Prof.Dr. Ammar Hassan Abdulzahra

Kerbala Directorate of Education

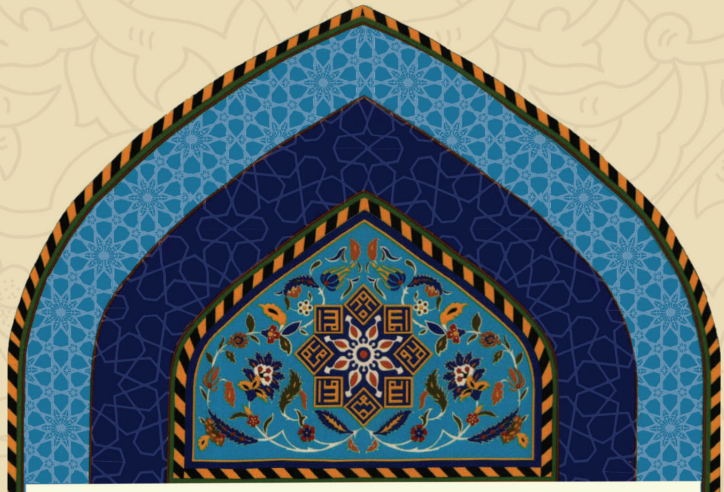

الخطاب القرآني عند الإمام علي الهادي عليه السلام قراءة تحليلية

الملخص:

يمثِّل أهل البيت عليهم السلام الثقل الموازي للقرآن الكريم، وهم بمعيَّته وصية رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله العاصمة من الضَّلال باتِّفاق المسلمين، وعليه يكون أهل البيت عليهم السلام الأقرب لكتاب الله تعالى، والأعلم به، والأعرف بمحتواه ومضامينه، وقد ورد عنهم عليهم السلام تفسيرًا ضخمًا للقرآن الكريم تفرَّق في بطون المصادر، ولم يأخذ حقَّه من الدِّراسة والبحث؛ بل ما زلنا إلى الآن نجهل كثيرًا منه على الرَّغم من الانفتاح الذي حدث في الساحة العلميَّة والمعرفيَّة، ومن هنا قررتُ دراسة نماذج من تفسير الإمام علي الهادي عليه السلام – بما يسمح به المقام – على وفق منهج تحليل الخطاب؛ بوصفه المنهج الأكثر تطورًا في الساحة اللغويَّة المعاصرة، على نحوٍ أُقارب فيه بين تفسيره عليه السلام ومقولات هذا المنهج، مع مقارناتٍ بينه وبين المفسِّرين من الطوائف الإسلاميَّة الأخرى؛ من أجل بيان القيمة المعرفيَّة لتفسير الإمام الهادي عليه السلام من جهةٍ وأسبقيَّته في التأسيس لكثيرٍ من القواعد المعتمدة في التفسير من جهةٍ أخرى، وكذلك اشتباه من خالفه واتِّخذ غيره دليلًا للوصول إلى المعرفة القرآنيَّة من جهةٍ ثالثة. ولا نبتغي الخلاف في هذه الدِّراسة بقدر ما نهدف إلى الارتقاء بالمعرفة وابتغاء السبيل الراشد فيها، فإنَّ التقدُّم في المعرفة يبدأ من مناقشةِ الآراء ثمَّ نقدها، وبعد ذلك الانطلاق من السليمِ منها بوصفه القاعدة السليمة للبناء والتقدُّم.

الكلمات المفتاحية:

الإمام علي الهادي عليه السلام، تحليل الخطاب، تفسير القرآن الكريم.

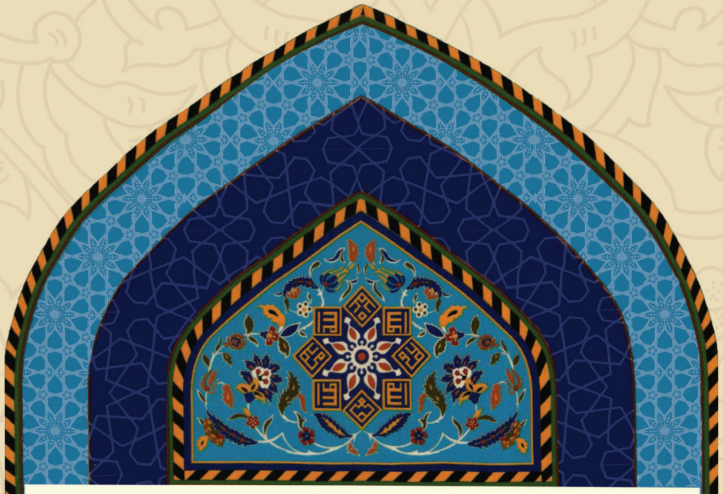

Quranic Discourse by Imam Al-Hadi (PBUH): An Analytical Reading

Abstract:

The prophet's (PBUHP) household (henceforth Ahlul Bayt) (PBUT) represent the counterpart of the Holy Quran by the will of our noble Prophet (PBUHP) as being infallible by consensus of Muslims. Therefore, Ahlul Bayt (PBUT) are the closest to the Book of Allah, the most knowledgeable about it, and the most familiar with its contents and meanings. Numerous interpretations of the Holy Quran by them are scattered across sources, but have not received due study and research. Despite the openness that has occurred in the scientific fields, we still greatly ignore many aspects of the Holy Quran. Hence, I have decided to study examples of Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) interpretations of the Holy Quran using discourse analysis, as it is the most advanced approach in contemporary linguistic and cognitive fields. On one side, I will draw parallels between his interpretations and the concepts of this approach to compare to other interpretations to demonstrate Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) cognitive value of his interpretations, and his laying the foundation of many principles adopted in interpretation, on the other side. This is also to clarify the mistake of those who opposed him and took others as evidence to reach Quranic knowledge. We do not seek disagreement in this study as much as we aim to advance knowledge and follow the right path. Progress in knowledge begins by discussing opinions then critiquing them, and then adopting the sound views, which are the sound foundations of building and progress.

key words:

Imam Ali Al-Hadi (PBUH), Discourse Analysis, Holy Quran interpretation.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

المقدِّمة:

الحَمْدُ لله الَّذي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ، وَلاَ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ، ولاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ المُجْتَهِدُونَ.. وصلَّى اللهُ على خيرِ خلقهِ أجمعينَ محمَّدٍ وآلهِ الطاهرين..

يأخذ القرآن الكريم مساحةً عظمى عند المسلمينَ بكلِّ طوائفهم، وفيه بُذلت الدِّراسات والأبحاث على مدى العصور بشتَّى أصناف العلوم وأنواعها، ولا سيَّما تفسيره وبيان دلائله ومضامينه؛ إلَّا أنَّهم اختلفوا في الأخير من ناحية المنهج والأدوات والمرجعيَّات، ولذلك جاء الاختلاف في كثيرٍ من المضامين التفسيريَّة إلى حدِّ بلوغِ التناقض في أحيانٍ كثيرة، ومن هنا عوَّلنا على دراسة نماذج من تفسير الإمام علي الهادي عليه السلام ومقارنتها مع ما انتهى إليه أئمَّة التفسير من طوائف المسلمين الأخرى، بوصفه عليه السلام من أهل بيت النبوَّة الذين جعلهم الله تعالى على لسان نبيِّه عدل القرآن والثقل الموازي له العاصم بمعيَّته من الضلال، ومن هنا يبرز هدفنا في هذا البحث عبر المحاولة لكشفِ تراث أهل البيت عليهم السلام التفسيري، وإبانة أهميَّته ومدى توافقه مع روح القرآن الكريم ومضامينه؛ ليكون ذلك خطوةً في مسار التصحيح في علم التفسير، وحتَّى نرتقي به ليكون بمستوى يليق بالحاجة المعرفيَّة المعاصرة ومتطلباتها المعرفيَّة.

وعند النظر في المادَّة التفسيريَّة للإمام الهادي عليه السلام اخترنا منها نماذج وجدناها تأتلف مع مقولات منهج تحليل الخطاب فوقع عليه اختيارنا من هذه الجهة، ومن جهةٍ أخرى يُعدُّ الأحدث في دراسة اللغة ومضامينها ومقاصدها ولمقاربة أدواته مع لغة القرآن الكريم ومساحاتها المعرفيَّة.

ثمَّ ائتلفت الخطَّة بعد جمع المادَّة والنظر فيها على تمهيدٍ عرَّفنا فيه بمفهوم الخطاب، وثلاثة مباحث: كان الأوَّل منها في بيان أهميَّة تحديد جهة الخطاب في تفسير القرآن الكريم وبيان صفتها، والثَّاني درس أهميَّة سبب النزول في تفسير القرآن الكريم، والثَّالث بحث التصاحب بين الألفاظ القرآنيَّة على نحو تفسير بعضها لبعض.

وأخيرًا لا أدَّعي الكمال في ما سطَّرت بقدر أنِّي بذلتُ جهدي (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [يوسف: ٧٦] فإن كان خيرًا فذلك من توفيق الله تعالى، وإن كان الآخر فمن نفسي وقصورها وقلَّة حيلتها. وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّدٍ وآله الطَّاهرين.

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

التمهيد/ التعريف بمفهوم تحليل الخطاب

لم يخرج (الخطاب) في الاصطلاح عند العرب عن دائرته في المعنى اللغوي، وقد قال الآمدي (ت: ٦٣١هـ) فيه: «اللَّفْظُ الْمُتَوَاضَعُ عَلَيْهِ الْمَقْصُودُ بِهِ إِفْهَامُ مَنْ هُوَ مهيِّء لِفَهْمِهِ»(١)، وقيل: هو «الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئًا»(٢)، فقصدية الإفهام في هذا التعريف تُرجعنا إلى (مراجعة الكلام)، ولا غرض من المراجعة إلَّا من أجل الوعي به وفهمه من لدن مستمع متهيِّء لذلك.

أمَّا غربيًا فأوَّل ظهور لمصطلح (الخطاب) يعود «إلى إفلاطون بما أطلق عليه اسم المقال، ولم يظهر بلفظه إلاَّ على يد (رينيه ديكارت) في عصر النهضة بكتابه (خطاب في المنهج)، وأهمية هذا الكتاب تكمن في كونه تأسيسًا للخطاب أكثر ممَّا هو تفسير وتحديد للمفهوم»(٣)، ومنذ ذلك اليوم صار مصطلح (الخطاب) يتطور مع تطور الحقول المعرفية وتشعبها، ومع تطوره لم يُفارق الأصل الذي انبثق منه وإنَّما ظلَّ على اتِّصال معه بروابط وشيجة، على العكس من المفهوم العربي الذي انقطع تمامًا عن أصوله المعرفية، والعلة في ذلك ترجع إلى اتِّكاء النقد العربي الحديث على النقد الغربي، واستمالة الموروث الغربي ممَّا أدَّى إلى القطيعة مع الموروث العربي(٤).

وقد صاحب هذا الحقل المعرفي خلافٌ كبير على مستوى التعريف وتقنيات التحليل والأهداف على إثر ذلك تعدَّدت حوله المفاهيم النظرية، وتراكمت الدّلالات المعرفية التي يُفيدها، وشاعَ مُصطلح الخطاب في كثير من الدِّراسات وخصوصًا ما يتعلّق منها بالدِّراسات اللغويَّة، والسبب في ذلك يعود إلى تنوّع المرجعيّات الفكريّة والثقافيّة(٥)،

(١) الآمدي، أبو الحسن الثعلبي، الإحكام في أصول الأحكام، ج١، ص٩٥، التهانوي، محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١، ص٧٤٩.

(٢) الأرموي، صفي الدين محمد، نهاية الوصول في دراية الأصول، ج١، ص٥١، ينظر: الزحيلي، محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ج١، ص٢٨٧.

(٣) العتوم، مهى محمود إبراهيم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، ص ١٤ .

(٤) العتوم، مهى، المصدر نفسه، ص١٤.

(٥) ينظر: عبد زيد، هيام، الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي، ص ٣٣.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

و«اختلاف الفهم وتطوراته لدى الباحثين في النظرة إلى الخطاب»[١]، ودخوله في أكثر من معترك معرفي ما أدّى إلى شيوعه في تخصصاتٍ علمية متنوعة، ولذلك صار لزامًا على من يتصدَّى لتحليل الخطاب أنْ يحدّد الاتِّجاه الذي ينتمي إليه، والمجال الذي يشتغل فيه على وفق أسئلةٍ أبستمولوجية محدَّدة، فحواها: لماذا هذا التعريف؟ ما هي الأدوات والإجراءات المناسبة؟ إلى ماذا نبغي الوصول؟ وكيف يتمُّ ذلك؟[٢].

ويُعدُّ (زليغ هاريس Zelling Harris) أوّل من اهتمّ بدراسة الخطاب من الغربيين، فاهتمَّ بالعلاقات التوزيعيّة بين الجمل، وقرَّر مغادرة الدِّراسات التي كانت تتخذ من الجملة وحدةً كبرى في التحليل اللغوي إلى العلاقات التي تربط الجمل، وأصبح الخطاب عند هاريس يمثِّل وحدة لسانيّة تتألف من متتاليّة من الجمل[٣] غير المعزولة عن بعدها الثقافي ولا عن معطياتها الخارج لغوية، مع الاهتمام الكامل بالعلاقات الضمنيّة القائمة بين الخطاب والسلوك الثقافي[٤]، وصار الخطاب عنده نصًّا جامعًا لكلِّ الجمل بروابط محدَّدة.

وإذا كان هاريس يرى الخطاب مجموعة من المتواليات تربط بينها علاقات معينة خاضعة لجملة من القواعد، تنتظم بموجبها الجمل في الخطاب، فإنّ الباحث الفرنسي (إميل بنفنست E.Benveniste) يقدّم تعريفًا آخر للخطاب هو أنّه:«ملفوظ منظورًا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التّواصل»[٥]، ويقول: «هو كلُّ مقول يَفْتَرِض متكلّمًا ومستمعًا، وتكون لدى الأول نيّة التأثير في الثاني بصورة ما»[٦]. ثمَّ تتوالى البحوث بعد (هاريس) حول الخطاب ومدياته الفكرية وآليات اشتغاله

(١) مشيل فوكو، حفريات المعرفة، ص ١٠٢.

(٢) يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، ص٢٦.

(٣) ينظر: مانغونو، دومنيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٣٥، تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)، ص ١٧، البارودي، محمد، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، ص ٢٠ .

(٤) العربي، ربيعة، الحد بين النصّ والخطاب، ص ٣٦.

(٥) تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، ص ١٧ .

(٦) صحراوي، إبراهيم، تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، ص ١٠.

مجلة تراث شناور
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

المعرفية، وكلَّما استجدَّت فكرة صبغها صاحبها بالاتِّجاه الذي يؤمن به وبالثقافة التي ينحدر منها، فهذا (بنفنست) يخرج عن الحدود المعرفية التي وضعها هاريس للخطاب فيقفز في التحليل حدود الملفوظات إلى التلفظ (Enonciation) ليعطي الأولوية للوظيفة التواصلية للغة، ومن ثمَّ يصبح موضوع الدراسة عنده: هو التلفّظ وليس الملفوظ[١]. ومن وجهةٍ أُخرى يبرز دومينيك مانغنيو «Dominique Maingueneau» الذي نظر إلى الخطاب على أنَّه مفهومًا ينطبق على الكلام بالنظر إلى ثنائيات سوسير، وجعل منه مقابلًا نوعيًّا للسان، وأصبح عنده محور الدِّراسة اللغوية، وصار يدعو إلى دراسة اللغة بوصفها قيمةً إنجازيةً في الاستعمال[٢].

وما يمضي الوقت حتَّى تجتاح الساحة الفرنسية أفكار ميشيل فوكو (Michel) Foucault الذي عرَّف الخطاب بأنَّه: «شبكة معقَّدة من العلاقات الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة، التي تَبرُزُ فيها الكيفيّة التي يُنتج فيها الكلام كخطابٍ[٣] ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه»[٤]، وهكذا يتجاوز الخطاب مع فوكو الحدود اللسانية والآفاق التداولية إلى رؤًى أشمل ترتبط بالأنظمة الثقافيّة للجماعة، تلك التي تنتج المعرفة وتقننها، وتنظِّم مكوّناتها، وتَبسُط هيمنتها[٥]، ومن هنا ينتقل الخطاب عند فوكو من السمة الفردية إلى النمط الجماعي؛ ليمثِّل خطاب مرحلة زمنية معينة، أو فرعٍ علميٍّ محدَّد، أو جماعة لها أُطرها المعرفية الخاصَّة، وبذلك ينتقل من كونه لغة ذاتٍ تتداولها إلى ممارسة جماعةٍ لها خصوصيتها في الشكل والتتابع والترابط[٦].

ومن هنا سندرس الخطاب القرآني على أنَّه يتجاوز اللغة بوصفها التواصلي إلى منظومة معرفيَّة لها أسسها وقواعد تحليلها، وسنعتمد في ذلك على تحليل الإمام عليٍّ الهادي عليه السلام للقرآن الكريم، ونقارنه مع ما أفاده المفسِّرون من الاتِّجاهات الإسلاميَّة

(١) تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، ص ١٨ - ١٩.

(٢) ينظر: شرشار، عبد القادر، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص ٨٣.

(٣) كذا والصحيح: بوصفه خطابًا.

(٤) الرويلي، ميجان، البازعي، سعد، دليل الناقد الأدبي، ص ٥٩.

(٥) آل مريع، أحمد بن علي، الخطاب الجنون الحضور الفيزيائي والغياب الثقافي، ص ٢٧.

(٦) ميشال فوكو، جينالوجيا المعرفة، ص ١٨.

الأخرى؛ لنبيِّن الفارق الشاسع في فهم القرآن الكريم وأدوات ذلك وآلياته بين الإمام الهادي عليه السلام والمفسِّرين من الطوائف الإسلاميَّة الأخرى، ونقارب ذلك مع مقولات تحليل الخطاب؛ بوصفه المنهج الأنضج في تحليل اللغة على مستوى الساحة البحثيَّة المعاصرة، وذلك عبر دراسة مجموعةٍ من النماذج بحسب ما يسمح به المقام.

المبحث الأوَّل

أَثَرُ اخْتِلَافِ جِهَةِ الخِطَابِ في تَفْسِيْرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ:

لا تكتمل صورة الخطاب ما لم تتوضَّح فيه معالم الأطراف المشتركة في بنائه، إذ لا بدَّ من تحديد المشاركات من لدن المستعملين وقياسها إلى أصحابها بما يحملون من مرجعياتٍ ثقافية، وإرجاع الأقوال المسندة كلًّا إلى الجهة التي ينتمي إليها، وإلَّا فلا يمكن الوصول إلى المقاصد من الخطاب؛ لأنَّه في حال عدم الفصل بين المشاركات ستختلط الأقوال، ومن ثَمَّ تتداخل النصوص بين المشاركين في الخطاب فتُسند بعض المقاصد إلى مشاركٍ لم يتفوَّه بها فتتشوَّه صورة الاتِّصال، وعليه «فلا يمكن تبيين كُنْه الكلام على نحوٍ دقيق، إلَّا بعد التعرف على من وجِّه إليه الخطاب في داخل النص»[١]، وفي بعض الأحيان لا يمكن فصل مشاركات المتحاورين في الخطاب ما لم نستند إلى مقام التخاطب، ذلك بأنَّ طبيعة المتكلِّمين ولا سيَّما في الخطاب الشفاهي يطوون كثيرًا من المقدِّمات اعتمادًا على سياق الحال المبيِّن لها، يقول امبرتو إيكو (Umberto Eco): « وفي حال التلفظ الشفاهي يكون من الحتمي أن يحال اللّفظ إلى مَن يلفظ به، وأنَّه قبل أن نلجأ إلى القواعد اللّسانية بغية الإقرار بماهية ما يقوله المتكلِّم؛ نتلقَّى من ظرف التلفظ معلوماتٍ لسانيَّة خارجيَّة حول طبيعة الفعل الذي يؤديه»[٢] . وممَّا تقدَّم صار لزامًا على المحلِّل الاستعانة «بمؤثراتٍ خارج لغوية، فضلًا عن المؤثرات اللغوية للكشف عن المخاطب بشكلٍ محدد»[٣]، وإجراءات لغوية كهذه تعدُّ من صميم البحث التداولي؛ لأنَّه يسعى في تحليله إلى الإجابة عن الأسئلة

---

(١) شريد، صائل رشدي، عناصر تحقيق الدلالة العربية دراسة لسانية، ص ١٧٤ .

(٢) إمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ص٩٣ – ٩٤ .

(٣) برينكر، كلاوس، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الاساسية والمناهج، ص١٢٩.

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

التي تتمحور في: ماذا نصنع حين نتكلَّم؟، فمن يتكلَّم إذن؟ وإلى من يتكلَّم؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟[1] .

ولم يكن الخطاب القرآني بدعًا عن غيره من الخطابات، من ناحية وجود مشاركاتٍ خطابيَّةٍ نقلها الباري (جلَّ شأنه) عن شخوصٍ بتمثُّلاتٍ متنوِّعة، من قبيل المؤمنين والكافرين والمنافقين وحتَّى الحيوانات، ولم يكتفِ بنقلها وإنَّما ردَّ عليها بأشكالٍ متنوعة بحسب المقام الذي تقتضيه، وكلُّ ذلك مثَّل حوارًا داخل الخطاب القرآني، وكان لزامًا على من يتصدَّى لتحليل هذا الخطاب أن يفرز بين جهاته التخاطبية؛ ليقف على أقلِّ التقادير على مشاركات الله تعالى والمشاركات الأخرى، وكذلك ليفرز المشاركات بحسب موضوعاتها وأحكامها؛ لأنَّ التداخل بين الموضوعات في بعض الأحيان يوهم بتواصل الحوار في جهةٍ معينة، وهو في الحقيقة يتنقل بين جهتين أو أكثر.

وهذا الموضوع يأخذ أهميةً بالغة؛ لما له من علاقةٍ مباشرةٍ في تحديد الخطاب المنسوب إلى لفظ الجلالة والمتصل به في الآيات المجيدة، وعلى أساس ذلك التحديد تترشَّح الأحكام الدينية، والخطورة في هذا الموضوع تكمن في أنَّه لو أُسنِد إلى الله تعالى قولٌ هو في الأصل لغيره، ثمَّ رُتِّب على ذلك أحكامٌ دينيةٌ صيغت على أنَّها أوامر إلهيَّة، ثمَّ يصبح الأمر أكثر خطورة فيما لو كان القول المسند إلى الله تعالى هو في الأصل للكفَّار أو المنافقين، وقد حدث ذلك في مواطنَ متعدِّدةٍ من الخطاب القرآني، وكان أئمَّة أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الهادي عليه السلام من أوَّل المتصدِّين والعاملين على بيان سبيل الرَّشاد بالأدلة والبراهين، منوهين إلى خطورة مثل هذه الاشتباهات التي نتجت عن تصدِّي من ليس أهلًا لتحليل الخطاب القرآني . وممَّا ورد في هذا الصدد ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر: ٦٧] .

أجمع المفسِّرون – في حدود ما اطلعت عليه – على أنَّ هذه الآية الكريمة تحمل مشاركةً مُسندةً إلى الله تعالى، فهي قول الله تعالى المباشر يصف فيه نفسه، وقد انتهى المفسِّرون إلى جملةٍ من الأقوال في تحليل هذه الجنبة من الخطاب القرآني، منها: أنَّ «الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ جَمِيعًا فِي

(١) ينظر: أرمينكو، فرنسوانز، المقاربة التداولية، ص ٧ .

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

يَمِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١]، ونُقل عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ت: ٦٨ هـ) أَنَّه قَالَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي يَدِ اللهِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»[٢]، وعَنه أيضًا في معرض بيانه للآية محل البحث: «قَدْ قَبَضَ الْأَرَضِينَ وَالسَّمَوَاتِ جَمِيعًا بِيَمِينِهِ، أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّهُ قَالَ: ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، يَعْنِي: الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ جَمِيعًا... وَإِنَّمَا يَسْتَعِينُ بِشِمَالِهِ الْمَشْغُولَةُ يَمِينُهُ»[٣]، وقيل: إنَّ السماوات والأرض يضعها في يد «وَيَدُهُ الْأُخْرَى خُلُوٌّ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ»[٤]، والأرض بيده «كَأَنَّهَا جَوْزَةٌ بِقَضِّهَا وَقَضِيضِهَا»[٥]، وقيل: لو كانت الأرض في قبضته والسماوات مطويات بيمينه فأين الخلق عند ذلك؟ فأجابوا بأنَّهم كرُقُمٍ في الكتاب[٦]، وظاهر هذه الأقوال التجسيم للذَّات الإلهية بإسناد اليدِ إليها والقبضة على وجه الحقيقة، ومن هنا رفض بعض المفسِّرين ذلك وحملوا المعنى على المجاز، وقالوا عن القبضة واليمين: «أي: في قدرته، وملكه، وسلطانه، لا سلطان لأحدٍ عليها»[٧]، وقيل: في قبضته أي: «يملكها، لا مدَّعي لملكها ذلك اليوم غيره»[٨]، وقيل: إنهَّا في مقدوره

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٠، ص٢٤٥.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٠، ص٢٤٦، الثَّعلبي، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٨، ص٢٥٣. القرطبي، مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ج١٠، ٦٣٧٤، ص٦٥. مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، ج٧، ص١١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٠، ص٢٤٦.
الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٨، ص٢٥٣.التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، ج٧، ص١١. ينظر: الغرناطي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، ج٢، ص٢٢٥.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٠، ص٢٤٦ .

(٥) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٠، ص٢٤٦.الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ج١٠، ٦٣٧٤ .

(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ج١٠، ٦٣٧٨ .

(٧) ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، بحر العلوم، ج٣، ص١٩٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٨، ص٢٥٢، التسهيل لعلوم التنزيل، ج٢، ص٢٢٥ .

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

كالذي يقبض عليه القابض في قبضته[١]، وقيل القبضة هنا بمعنى الملك الخالص له سبحانه، «قد ارتفعت عنه أيدي المالكين من بريته، والمتصرفين فيه من خليقته، وقد ورث تعالى عباده ما كان ملكهم في دار الدنيا من ذلك، فلم يبقَ ملكٌ إلَّا انتقل، ولا مالك إلَّا بطل»[٢]، وإسناد القبضة لله تعالى، «وإن كان لا يقبض عليها تفهيما لنا على عادة التخاطب فيما بيننا؛ لأنَّا نقول: هو في يد فلان وفي قبضته للشيء الذي يهون عليه التصرف فيه، وإن لم يقبض عليه»[٣]، وقيل: إنَّ هذا الكلام على التخيل والغرض منه «إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته، والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين»[٤]، وقيل أيضًا: «أي تحت قبضته وقهره، وسيطرته وسلطانه ﴿**وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ أي بقدرته... وهو كناية عن قدرة الله تعالى، وإحاطته بجميع مخلوقاته»[٥]، وما يتحصَّل عن القبضة والطوي باليمين هو «تقطع الأسباب الأرضية والسماوية وسقوطها، وظهور أن لا مؤثِّر في الوجود إلَّا الله سبحانه»[٦]، ومن أقوى الردود على المجسِّمة ما أورده القشيري (ت: ٤٦٥هـ) من الصوفيَّة بقوله: «ما عرفوه حقَّ معرفته، وما وصفوه حقَّ وصفه، وما عظّموه حقَّ تعظيمه؛ فمن اتَّصف بتمثيل، أو جنح إلى تعطيلٍ حادٍ عن السُّنَّة المثلى، وانحرف عن الطريقة الحسنى، وصفوا الحقَّ بالأعضاء، وتوهَّموا في نعته الأجزاء، فما قدَّروه حقَّ قدره»[٧].

وتفسيره، وأحكامه، ج١٠، ٦٣٧٦ .

(١) ينظر: ابن فورك، تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، ج٢، ص٣٣٤، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص٤٥ - ٤٦، القشيري، عبد الكريم، لطائف الإشارات، ج٣، ص٢٩١ .

(٢) الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ٢٨٧ .

(٣) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٣، ص٥٩٣، الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٨، ص٤١٥ - ٤١٦، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٧، ص٢٩٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤، ص١٤٢. ينظر: الطبرسي، تفسير جوامع الجوامع، ج٣، ص٢٢٨ .

(٥) الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، أوضح التفاسير، ص ٥٦٩ .

(٦) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص٢٩٢.

(٧) القشيري، لطائف الإشارات، ج٣، ص٢٩١.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

واليمين: القوة[١]، أو الملك[٢]، وقيل: ذكرها مبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك[٣]، وقيل اليمين بمعنى القسم، على معنى أنَّه حلف أن يطويها ويفنيها[٤]، ومعنى القوة والملك أولى[٥] .

وهذا التمسُّك بالقبضة واليمين سواء أكان على نحو الحقيقة أم المجاز مردُّه إلى نصوصٍ روائيةٍ قيَّدت أقلام المفسِّرين، وحدَّدت أفهامهم وتسلطت على تفكيرهم، وجعلتهم يحومون حول تلك المفردات ولا يستطيعون ردَّها؛ لأنَّها وردت في الكتب الصحيحة بحسب زعمهم، ومن هنا تظهر حاكميَّة الرواية وسلطتها على مداليل القرآن الكريم ومقاصده، على أنَّنا لا ننفي أثر الرِّواية الصحيحة في بيان المقاصد الإلهيَّة بشرط أن تكون متسقةً ومنسجمةً مع المفاهيم القرآنية، ولكن أن تأتي روايةٌ مجرَّد أنَّها واردةٌ في ما يُسمَّى بكتب صحاح الحديث؛ فتحكم دلالات الخطاب القرآني ومقاصده، وإن كان الخلل والبطلان يدبُّ في مفاصلها فهذا أمرٌ لا يمكن قبوله؛ بل يترقَّى الأمر إلى أكثر من ذلك فيكون فهم الصحابي في بعض الأحيان مقيِّدًا لفعل النبيِّ ﷺ ولقصديَّة الخطاب القرآني على نحوٍ دون غيره وإن كان واضح المجانبة للصواب، ويمكن أن نتلمَّس ذلك بما ورد من رواياتٍ أوردها المفسِّرون في معرض تفسيرهم للآية محلَّ البحث، ومن تلك الروايات ما روي عن أبي هريرة أنَّ النَّبِي ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟»[٦]، وهذه الرواية لا

(١) ينظر: تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة، ج٢، ص٣٣٤، التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص٤٦، لطائف الإشارات، ج٣، ص٢٩١، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج٢، ص١٠٢٠، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص٢٧٨ .

(٢) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ٢٨٧.

(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص٤٦، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٣، ص٥٩٣، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٨، ص٤١٦ .

(٤) ينظر: تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة، ج٢، ص٣٣٤، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ٢٨٧، القشيري، لطائف الإشارات، ج٣، ص٢٩١، الكرماني، محمود أبو القاسم برهان الدين، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج٢، ص١٠٢٠ .

(٥) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ٢٨٨ .

(٦) أبو المظفر، تفسير القرآن، ج٤، ص٤٨٠، ينظر: الهرري، محمد الأمين، تفسير حدائق الروح

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

مناقشة في صحتها على زعمهم؛ لكونها واردةٌ في صحيح البخاري[١]، وصحيح مسلم[٢]، ويُكمل ابْن عمر سياق الرِّواية السَّابقة فيقول: «وَجعل النَّبِي يَتَحَرَّك على منبره حَتَّى قُلْنَا: يكَاد يسْقط، وَفِي رِوَايَة: جعل الْمِنْبَر يَتَحَرَّك هَكَذَا وَهَكَذَا»[٣]، وفي رواية أُخرى ينقلها ابن عمر أنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) قال: «يَطْوِي اللهُ السموات يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[٤]، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ[٥]، وقد ورد في صحيح مسلم[٦]، ولذلك لا مناقشة في صحته أيضًا، وروي أيضًا عن عبد الله بن مسعود أنَّ حبرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ جاء إلى النبي محمَّدﷺ، فَجَلَسَ عنده، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّﷺ: «حَدِّثْنَا، قَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَعَلَ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْمَاءَ وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَجَمِيعَ الْخَلَائِقِ عَلَى أُصْبُعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِمَا قَالَ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾»[٧]، وهذا الحديث مروي في

والريحان في روابي علوم القرآن، ج٢٥، ص٧٢.

(١) ينظر: البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وسننه وأيامه – صحيح البخاري، ج٦، ص١٢٦ .

(٢) النيسابوري، مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، صحيح مسلم، ج٤، ٢١٤٨.

(٣) أبو المظفر، تفسير القرآن، ج٤، ص٤٨٠، ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج٢٥، ص٧٢.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٤، ص١٠٠، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص٢٧٨ .

(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٤، ص١٠٠.

(٦) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، ج٤، ٢١٤٨ .

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٠، ص٢٤٨، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج١٠، ٦٣٧٥، تفسير القرآن، ج٤، ص٤٧٩ – ٤٨٠، معالم التنزيل في تفسير القرآن،

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

صحيح البخاري[١]، وصحيح مسلم[٢]، وباقي الصحاح الأخرى؛ ولذلك لا مناقشة في صحته أو في سنده، على أنَّ جميع من نقل حديث الحبر اليهودي فسَّر التصديق بأنَّه تصديقٌ من الرسول صلى الله عليه وآله لما أورده الحبر من وصفٍ لله تعالى .

وهذه الأحاديث لا يمكن ردُّ مضمونها بحسب مباني الفئة العظمى من المسلمين؛ لكونها ورادةٌ في الكتب الصحيحة التي لا مناقشة فيها، وكذلك لا يمكن ردُّ فهم الصحابي (عبد الله بن مسعود)؛ لكونه حجَّة، ولذلك لا مناص من قبول مضمون الروايات؛ بل التسليم بها، وغاية ما استطاع من لا يؤمن بالجسمية أن يقول: «ويجب على أهل الدين والفضل والفهم أن يجروا هذه الأحاديث التي فيها ذكر اليد والإصبع ونحوه على ما أتت، وألَّا يعتقد في ذلك جارحة ولا تشبيه، فليس كمثل ربنا شيء، ومن توهم في ذلك جارحةً فقد شبَّه الله سبحانه وعدل عن الحق»[٣]، وقيل أيضًا: «وعلى كلِّ وجه، فاليمين هنا والقبضة وكلُّ ما ورد عبارة عن القدرة والقوة، وما اختلج في الصدور من غير ذلك باطل»[٤].

وقد حاول الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) أن يُفسِّر إقرار الرسول صلى الله عليه وآله لوصف اليهودي بوجهةٍ أُخرى يُعدِّلُ فيها الميلان الفاضح فقال: «وَإِنَّمَا ضَحِكَ أَفْصَحُ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا مَا يَفْهَمُهُ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرِ إِمْسَاكٍ وَلَا إِصْبَعٍ وَلَا هَزٍّ وَلَا شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ»[٥]، ولو أنَّ الزمخشري نفى مضمون فهم الرَّاوي القاضي بإثبات الإصبع والهزِّ، وفهم ضحك الرَّسول على أنَّه إنكارٌ واستهجانٌ لما جاء به اليهودي

ج٤، ص٩٩، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:، ج٤، ص٥٤٠، مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص٤٧٣، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص١١٣، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص٦٣، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج٢٥، ص٧٢.

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله «وسننه وأيامه - صحيح البخاري، ج٦، ص١٢٦ .

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) - صحيح مسلم، ٢١٤٧ .

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج١٠، ٦٣٧٨.

(٤) الأندلسي، ابن عطيَّة، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٤، ص٥٤١ .

(٥) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص٤٧٣ .

لأصاب كبد الحقيقة، ثمَّ جاء ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) وحاول أن يُفسِّر إقرار الرسول بوجهةٍ أُخرى فقال: «قوله في الحديث: تصديقًا له، أي في أنَّه لم يقل إلَّا ما رأى في كتب اليهود، ولكنَّ النبي (صلَّى الله عليه [وآله] وسلم) أنكر المعنى؛ لأنَّ التجسيم فيه ظاهر واليهود معروفون باعتقاده، ولا يحسنون حمله على تأويله من أنَّ الأصبع عبارة عن القدرة، أو من أنَّها أصبع خلقٍ يخلق لذلك، ويعضدها تنكير الأصبع»[1]، وابن عطية لم يبتعد عمَّا قاله الزمخشري، إلَّا أنَّه تقدَّم خطوةً في تفسير ضحك النبي ﷺ بالإنكار لما أورده الحبر اليهودي؛ ولكنَّه عاد فأثبت الإصبع على نحو المجاز، ولو ساير معنى الإنكار لكلِّ ما أورده اليهودي لكان على جادَّة الرَّشاد، وبعدهما يأتي ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) فيحوم حول موضع العقدة إلَّا أنَّه يتراجع في آخر الأمر، ونجد ذلك في قوله بعدما رجَّح الظن والحسبان من لدن الراوي في فهمه لضحك النبي بأنَّه (تَصْدِيقٌ لِقَوْلِ الْحَبْرِ): «وَإِنَّمَا كَانَ ضَحِكُ النَّبِي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) اسْتِهْزَاءً بِالْحَبْرِ فِي ظَنِّهِ أَنَّ اللهَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَقِيقَةً، وَأَنَّ لَهُ يَدًا وَأَصَابِعَ حَسَبَ اعْتِقَادِ الْيَهُودِ التَّجْسِيمَ، وَلِذَلِكَ أَعْقَبَهُ بِقِرَاءَةِ ﴿**وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾؛ لِأَنَّ افْتِتَاحَهَا يَشْتَمِلُ عَلَى إِبْطَالِ مَا تَوَهَّمَهُ الْحَبْرُ وَنُظَرَاؤُهُ مِنَ الْجِسْمِيَّةِ، وَذَلِكَ مَعْرُوفٌ مِن اعْتِقَادِهِمْ، وَقَدْ رَدَّهُ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ، فَلَمْ يَحْتَجِ النَّبِي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) إِلَى التَّصْرِيحِ بِإِبْطَالِهِ، وَاكْتَفَى بِالْإِشَارَةِ الَّتِي يَفْهَمُهَا الْمُؤْمِنُونَ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَنَّ مَا تَوَهَّمَهُ الْيَهُودِيُّ تَوْزِيعًا عَلَى الْأَصَابِعِ إِنَّمَا هُوَ مَجَازٌ عَنِ الْأَخْذِ وَالتَّصَرُّفِ»[2]، ولم نجد تلك الإشارة إلى المجاز التي أسندها ابن عاشور إلى النبي ﷺ في نصِّ الحديث السابق، وإنَّما هو فهمه من الرواية وما عقله من فعل النبي ﷺ، إلَّا أنَّه قد وضع يده على الجرح بعد ما فهم حقيقة ضحك النبيِّ ﷺ على قول اليهودي؛ ولكنَّه تراجع وأثبت ما قاله اليهودي على نحو المجاز.

أمَّا أئمَّة أهل البيت عليهم السلام فقد بيَّنوا من ذي قبلٍ ما لم يستطع المفسِّرون بيانه، فرفضوا القبضة واليمين واليد وغيرها، وأسندوا ذلك إلى قول المشبِّهة من اليهود وغيرهم، وقد أوضح ذلك الإمام علي بن محمَّد الهادي (ت: ٢٥٤ هـ) عليه السلام في

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٤، ص٥٤١ .

(٢) الطاهر، أبن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص٦٣ .

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

معرض تحليله للآية محلَّ النظر بقوله: «ذلك تعيير الله تبارك وتعالى لمن شبَّهه بخلقه، ألا ترى أنَّه قال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ومعناه إذ قالوا: إنّ ﴿الْأَرْض جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، كما قال (عزّ وجلّ): ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، ثمّ نزَّه (عزّ وجلّ) نفسه عن القبضة واليمين، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾»[1].

فالإمام علي الهادي عليه السلام يفرز المشاركات الخطابية في داخل الآية الكريمة، فيبيِّن الخطاب المنسوب للفظ الجلالة فضلاً عن نقله لمشاركات الآخرين، ثمَّ الرد عليها من لدنه سبحانه، وبذلك توضَّحت القصديَّة من الآية الكريمة، إذ تبيَّن أنَّ هناك حدثًا تخاطبيًّا فحواه يتضمَّن قول المجسِّمة الذي نقله الله تعالى بقوله: ﴿الْأَرْض جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، فردَّ عليهم الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ أسندوا له القبضة واليمين، ثمَّ نزَّه الله تعالى نفسه عن ذلك فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ثمَّ استدلَّ الإمام علي الهادي عليه السلام على ما قدَّم من قراءةٍ بالاستعمال القرآني الشبيه بالحدث التخاطبي الذي نحن بصدده، فقال: إنَّ لذلك نظيرًا وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، فيكون المعنى وما قدروا الله حقَّ قدره إذ قالوا الأرض قبضته والسماوات مطويات بيمينه، وبذلك ميَّز الإمام عليه السلام بين المشاركات في الخطاب، وأسند كلَّ مشاركةٍ إلى أصحابها، ويمكن توضيح المشاركات التخاطبية في الآية محل النظر أكثر بما يأتي:

- الخطاب المنسوبللفظ الجلالة في اعتراضه على المجسِّمة: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

- مشاركة المجسِّمة في وصفهم لله تعالى: ﴿الْأَرْض جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾.

- خطاب الله تعالى في

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص١٦٠-١٦١، الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص١٤، البحراني، السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج٢، ٤٥٠، ج٤، ص٧٢٧، المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص١ - ٢، الشيخ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٤، ص٤٩٩، المشهدي، الشيخ محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج١١، ص٣٣٢، مؤسسة ولي العصر عجل الله فرجه الشريف، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، ج٢، ص٢٢.

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

تنزيه نفسه من وصف المجسِّمة: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وبذلك اتَّضحت جوانب الخطاب في الآية الكريمة، وأجاب الإمام عليه السلام في تحليله عن أهمِّ أسئلة التداولية وهي: من القائل؟ وماذا يقصد بقوله؟

ولو رجعنا إلى رواية الحبر اليهودي لوجدناها تنطبق تمامًا مع تحليل الإمام عليه السلام، ذلك أنَّه لَمَّا تحدَّث الحبر اليهودي فأسند التجسيم لله تعالى عبر تشبيهه بخلقه ضحك النبي صلى الله عليه وآله من سذاجة تفكيره وعقيدته، فكان فعله تهكمًا واستهزاءً بما أورده الحبر من عقيدةٍ فاسدة، ولذلك أجابه بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وممَّا سبق تبيَّنت الخطورة التي ترشَّحت من عدم الدِّقة في فرز المشاركات التخاطبية داخل الخطاب القرآني، وتمييز المشاركات الخطابية المسندة لله تعالى من غيرها؛ لكي لا نقع فيما وقع به بعض المسلمين من اعتماد قول المجسِّمة بوصفها مشاركةً لربِّ العالمين، ومن ثمَّ الاعتماد عليها في التقنين العقائدي. وقد أشار العلامة المجلسي (ت: ١١١١ هـ) إلى هذا التفرُّد التفسيري لأهل البيت عليهم السلام في بيان هذه الآية[1].

المَبْحثُ الثَّاني

الخِطَابُ القُرْآنِي بَيْنَ آنِيَّةِ السَّبَبِ وَاسْتِمْرَارِيَّةِ الحَدَث:

الخطاب القرآني حدثٌ بمجرياتٍ تواصليَّةٍ مستمرَّة تُحاكي عالم الحياة بمفاهيمها المتعدِّدة، على وفق رؤية الخالق في بناء الكون والإنسان؛ ولذلك فهو يعلو على حدِّ الزمان ولا يحيط به المكان، لم يؤلَّف ليكون معزولًا بنطاقٍ معيَّن وعند فئةٍ محدَّدة وبأحداثٍ مخصوصة؛ بل هو دستور ينتظم به الكون بأسره، تبلى الحياة ولا تُبلى معالمه، يُدرِّس الأجيال ولا تَدْرُس معارفه، هو رسالة السماء لكلِّ بني البشر.

وهذه النظرة للخطاب القرآني تجعله خارج نطاق الأسباب الآنية الموجبة للإنتاج، وخارج إطار الحوادث المصاحبة لأوقاتِ نزوله؛ لأنَّه لم يأتِ ليُعالج ظواهرَ آنيةً في مجتمعٍ محدَّد؛ ولكن هذا لا يمنع أن يكون ابن بيئته في بعض الحيثيات، وأن يكون مقنِّنًا لبعض حوادث عصر نزوله، ممَّا يجعل تلك الحوادث ذات علاقة محوريَّة

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص١ – ٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

في الكشف عن بعض ملابسات جوانبه، وهذا المفهوم أُطلق عليه قديمًا بـ (أسباب النزول)، التي وِصفت بأنَّها الدواعي التي نزلت الآيات القرآنية بسببها فصارت متضمِّنةً لها ومبيِّنةً لأحكامها، وقد قُسِّم الخطاب القرآني بالنظر إلى هذه الأسباب على قسمين: الأول، الآيات النازلة ابتداءً من دون علاقةٍ بالأسباب الخارجية كالسؤال، والآخر، الآيات النازلة عقب حادثةٍ أو سؤال، من قبيل: آيات الظهار في سورة المجادلة، وآية السؤال عن الخمر والميسر، إلى غير ذلك[١] . وقد تعامل الباحثون مع أسباب النزول بتباينٍ مفرط وتطرفٍ غير مسوَّغ، فقال بعضهم: «إِنَّهُ لَا طَائِلَ تَحْتَ هَذَا الْفَنِّ؛ لِجَرَيَانِهِ مَجْرَى التَّارِيخِ»[٢]، وقال آخرون عنها: «هِيَ أَوْفَى مَا يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، وَأَوْلَى مَا تُصْرَفُ الْعِنَايَةُ إِلَيْهَا، لِامْتِنَاعِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَقَصْدِ سَبِيلِهَا، دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا وَبَيَانِ نُزُولِهَا»[٣]، ولسنا مع الاثنين؛ لأنَّ حصر فهم الآية بسبب النزول حصرٌ لبيان القرآن الصادح به قول الله تبارك وتعالى، وكذلك ترك هذه الأسباب بالجملة حرمانٌ من آثارٍ مهمَّةٍ حاكتها بعض آيات الخطاب القرآني، والأسلم في رأينا هو اعتماد هذه الأسباب في الآيات التي لا تتَّضح إلَّا بالكشف عن الحادثة التي رافقت نزولها، وهي قليلة جدًّا إذا ما قورنت بالجانب الآخر، أمَّا اتِّخاذ هذه الأسباب بوصفها طريقًا رئيسًا في فهم الخطاب القرآني بشكلٍ عام فلا نتوافق معه؛ لما يؤدِّي إلى انحسار الخطاب القرآني بتلك الحوادث الضيقة وجعل الحاكميَّة لتلك الحوادث على القصديَّة العامَّة للقرآن الكريم، فضلًا عن عدم الاتِّفاق بين المسلمين على تلك الأسباب إلَّا في القليل منها، وقد قال العلَّامة الطباطبائي: «إنَّ الأهداف القرآنية العالية التي هي المعارف العالمية الدائمة لا تحتاج كثيرًا، أو لا تحتاج أبدًا إلى أسباب النزول»[٤]، والقرآن بمجمله أهداف

(١) ينظر: السيوطي، جلال الدِّين، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٠٧، البوطي، محمّد سَعيد رَمضان، من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله (ﷻ)، ص ٣٧، معجم علوم القرآن، ص ٣٤ – ٣٥ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٠٧، ٧٢. كفافي، محمد عبد السلام الشريف عبد الله، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، ص ٦٣ .

(٣) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، ص ٨، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، العجاب في بيان الأسباب، ج١، ص٩٦ .

(٤) السيد الطباطبائي، القرآن في الإسلام،

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

بمعارف عالميَّة دائمة، إلَّا أنَّنا لا نُنكر تعلُّق بعض الآيات بأسباب نزولها، ممَّا يجعل من تلك الأسباب قرائن فاعلة في الوصول إلى قصدية الخطاب القرآني . ومن هنا تدخل التداولية بإجراءاتها التأويلية المتنوعة بهدف الوصول إلى قصديَّة الخطاب، عبر الاستعانة بالظروف الخارجيَّة المصاحبة لحدث الخطاب، بوصفها مؤثِّرًا في الانتاج التخاطبي عبر السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية[١]، ممَّا أظهر المقام جزءًا أساسًا في مجمل إجراءات تحليل الخطاب على وفق الرؤية التداولية[٢]. وقد عَمَد أهل البيت عليهم السلام إلى توظيف أسباب النزول بوصفها كاشفًا وموضِّحًا لبعض مواضع الخطاب القرآني، ممَّا يتوقف فهمه على استيضاح الأسباب التي رافقت حدث نزوله، ومن تلك المواضع قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] .

حملت هذه الآية الكريمة حمولةً دلاليَّةً فحواها نسبة الشكِّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، والشكُّ: «هو توقف النفس فيما يخطر بالبال عن اعتقاده على ما هو به، وعلى ما ليس به»[٣] . وقد شكَّل ذلك فصلاً من التجاذب بين المفسِّرين أدَّى إلى الخروج بجملةٍ من التفسيرات، فحواها ما بين مثبتٍ الشكِّ على الرسول، ونافٍ له، ويمكن أن نصنِّف آراءهم على الشكل الآتي:

أولًا: أصحاب الفريق الأول (مثبتو الشكِّ) وهم أيضًا على صنفين:

١. مثبتو الشكِّ على جهة الحقيقة، وهؤلاء قالوا بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أصابه الشك على جهة الحقيقة، ومن جملة ما قالوا في ذلك: أمر الله تعالى نبيَّه إذا حصل عنده شكٌّ فليسأل أهل الكتاب الصالحين كعبد الله بن سلام وأصحابه، وعندها قال النبي صلى الله عليه وآله: «لا أشكُّ ولا أسألُ بعد، أشهد أنَّه الحقُّ من عند الله»[٤]، وعن ابن عبَّاس في

ص١٢٦.

(١) ينظر: العياشي، أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللّساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ص ١٠٨.

(٢) عكاشة، محمود أحمد، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللّغة، ص ١٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٤٣٠ .

(٤) ابن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج٢، ص٢٤٨ .

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

معنى ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قَالَ: اسأل أهل التوراة والإنجيل ممَّن عاصرك «إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ بِأَنَّكَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُمْ»(١)، وعن ابن عبَّاس في رجلٍ شكا له من الشكِّ فقال له: «مَا نَجَى مِنْ هَذَا أَحَدٌ حَتَّى نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ): ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾»(٢)، وقَالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ شكَّه كان في «الابتداء على غير يقينٍ أنه يوحى إليه أو لا»(٣)، وفي مسألة جوازه على الرسول قالوا: «كان جائزًا على الرسول (صلى الله عليه [وآله] وسلّم) وسوسة الشيطان؛ لأنَّ المجاهدة في ردِّها يستحقُّ عليها عظيم الثواب... وكان يضيق صدره من ذلك»(٤)، وكذلك هو «مِنَ الْبَشَرِ، وَكَانَ حُصُولُ الْخَوَاطِرِ الْمُشَوَّشَةِ وَالْأَفْكَارِ الْمُضْطَرِبَةِ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْجَائِزَاتِ، وَتِلْكَ الْخَوَاطِرُ لَا تَنْدَفِعُ إِلَّا بِإِيرَادِ الدَّلَائِلِ وَتَقْرِيرِ الْبَيِّنَاتِ، فَهُوَ تَعَالَى أَنْزَلَ هَذَا النَّوْعَ مِنَ التَّقْرِيرَاتِ حَتَّى أَنَّ بِسَبَبِهَا تَزُولُ عَنْ خَاطِرِهِ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ»(٥).

٢. مثبتو الشكِّ على جهة المجاز، وهؤلاء رفضوا نسبة الشكِّ إلى الرسول على جهة الحقيقة؛ لأنَّه «لَوْ كَانَ شَاكًّا فِي نُبُوَّةِ نَفْسِهِ لَكَانَ شَكُّ غَيْرِهِ فِي نُبُوَّتِهِ أَوْلَى، وَهَذَا يُوجِبُ سُقُوطَ الشَّرِيعَةِ بِالْكُلِّيَّةِ»(٦)، ولذلك رفضوا ما انتهى إليه الفريق الأوَّل وأوَّلوا الشكَّ على جملة أقوالٍ نصنِّفها على شعبتين:

الأولى، قالوا بأنَّ المخاطب في الآية رسول الله ﷺ والمقصود به غيره على عادة العرب في كلامهم، وهذا المقصود فُسِّر بجملة تفسيراتٍ نوردها على النحو الآتي:

١. ذهبت فريق إلى أنَّ الخطاب موجَّه إلى الرسول ﷺ إلَّا أنَّ المقصود به كلُّ الخلق، والغرض من ذلك أن يسأل

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٢، ص٢٨٦، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، ج٣، ص٦٧٨ .

(٢) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص١٩٨٥، ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج٥، ٣٣٢٦ .

(٣) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٦، ص٨٣ – ٨٤ .

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٥، ص١٥٠، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٣٨٢.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٧، ص٣٠٠ .

(٦) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٧، ص٣٠٠ .

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

الجميع؛ لأن لا يشكُّوا أو يرتدُّوا[١].

٢. إنَّ المقصود به الأمَّة[٢]، وعلى هذا تكون (في) الواقعة في الآية بمعنى الظرفية على تقدير: «فَإِنْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ أَهْلِ شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ، أَيْ يَشُكُّونَ فِي وُقُوعِ هَذِهِ الْقَصَصِ، كَمَا يُقَالُ: دَخَلَ فِي الْفِتْنَةِ، أَيْ فِي أَهْلِهَا، وَيكون معنى ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، فَاسْأَلْ أَهْلَ الْكِتَابِ سُؤَالَ تَقْرِيرٍ وَإِشْهَادٍ عَنْ صِفَةِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ يُخْبِرُوا بِمِثْلِ مَا أَخْبَرْتَهُمْ بِهِ، فَيَزُولُ الشَّكُّ مِنْ نُفُوسِ أَهْلِ الشَّكِّ، إِذْ لَا يُحْتَمَلُ تَوَاطُؤُكَ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى صِفَةٍ وَاحِدَةٍ لِتِلْكَ الْأَخْبَارِ»[٣].

٣. المراد بغيره (الشاكِّين) من أمَّته دون سواهم؛ «لأنَّ القرآن نزل عليه بمذاهب العرب، وهم يخاطبون الرجل بشيء، ويريدون به غيره، كما قالوا: إيَّاك أعني، واسمعي يا جارية»[٤]، وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم[٥]، ويكون تقدير (في) الظاهرة في سياق الآية على الظرفية المجازية، بقصد: «سَوْقِ هَذِهِ الْمُحَاوَرَةِ إِلَى النَّبِي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) عَلَى طَرِيقَةِ التَّعْرِيضِ؛ لِقَصْدِ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فَيَكُونُ اسْتِقْرَارُ حَاصِلِ الْمُحَاوَرَةِ فِي نُفُوسِهِمْ أَمْكَنَ مِمَّا لَوْ أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ مُوَاجَهَةً»[٦].

---

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٢، ص٥٥٩، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٢٦.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة، ج٦، ص٨٣، الشريف الرضي، حقائق التأويل، ص ١٠٤، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٥، ص١٤٩، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج٥، ٣٣٢٦، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٢، ص٤٣٤، الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، ج٢، ص٣٥٠، الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٧، ص٣٠٠.

(٣) التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٨٤ .

(٤) بحر العلوم، ج٢، ص١٣٢، ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٥، ص١٤٩، التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٤٣٠، البغوي، أبو محمد، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٢، ص٤٣٤، الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، ص ١٥٧، زاد المسير في علم التفسير، ج٢، ص٣٥٠، مفاتيح الغيب، ج١٧، ص٣٠٠، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٣٨٢، الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج١٠، ٦١٩٨ .

(٥) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٢، ص٥٥٩ .

(٦) التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٨٥ .

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

وأمَّا الشعبة الثانية، فذهب أصحابها إلى أنَّ المخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله والمقصود هو كذلك، وأصحاب هذا الرأي أوَّلوا الشكَّ بجملة تأويلاتٍ منها:

١. أنَّ ذلك جاء على سمت العرب في مخاطبة بعضهم بعضًا، ومن جملة ما عُهِد عنهم «قَوْلُ الْقَائِلِ مِنْهُمْ لِمَمْلُوكِهِ: إِنْ كُنْتَ مَمْلُوكِي فَانْتَهِ إِلَى أَمْرِي؛ وَالْعَبْدُ الْمَأْمُورُ بِذَلِكَ لَا يَشُكُّ سَيِّدُهُ الْقَائِلُ لَهُ ذَلِكَ أَنَّهُ عَبْدُهُ، كَذَلِكَ قَوْلُ الرَّجُلِ مِنْهُمْ لِابْنِهِ: إِنْ كُنْتَ ابْنِي فَبِرَّنِي؛ وَهُوَ لَا يَشُكُّ فِي ابْنِهِ أَنَّهُ ابْنُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ صَحِيحٌ مُسْتَفِيضٌ فِيهِمْ... هَذَا مِنْ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) شَاكًّا فِي حَقِيقَةِ خَبَرِ اللهِ وَصِحَّتِهِ، وَاللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ كَانَ عَالِمًا؛ وَلَكِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَاطَبَهُ خِطَابَ قَوْمِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، إِذْ كَانَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ نَزَلَ»[١]، وقد أُجيب على هذا الرأي بأنَّه «وهذا القول غير سديد، والتمثيل بما يقوله الرجل لابنه وعبده غير مستقيم؛ لأنَّ الرجل إنَّما يقول لابنه وعبده هذا، استزادة لهما، وعند ظهور أمر يكرهه منهما، ونحن لا نطلق على النبي صلى الله عليه وآله مقاربة فعل يكرهه الله سبحانه منه، فيقول تعالى له ما قال تثبيتًا على أمره، وردًا له عن مواقعة فعل لا يليق بمثله»[٢].

٢. أنَّ هذا القول كان نتيجةً لقول كفَّار قريش الذين قالوا «إنّ هذا الوحي يلقيه إليه الشيطان، فأنزل الله تعالى: ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب فسيخبرونك أنَّه مكتوبٌ عندهم في التوراة، فقال (رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم): لا أسْأَلُ أحَدًا، وَلا أشُكُّ فِيهِ، بَلْ أشْهَدُ أنَهُ الحَقُّ»[٣].

٣. أنَّ هذا النوع من الخطاب جاء على «جهة التهويل، والمقصود منه تنبيه

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٢، ص٢٨٨، ينظر: تأويلات أهل السنة، ج٦، ص٨٣، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٥، ص١٤٩، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج٥، ٣٣٢٦، التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٤٣٠، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٢٦.

(٢) حقائق التأويل، ص١٠٦.

(٣) بحر العلوم، ج٢، ص١٣٢، ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٥، ص١٤٩، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٢، ص٣٧٠، مفاتيح الغيب، ج١٧، ص٣٠٢، الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج٦، ص١٠٦، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج٧، ص١٣٢.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

القوم على ملازمة نهج السبيل، ويقال صفة أهل الخصوص ملاحظة أنفسهم وأحوالهم بعين الاستصغار»[١].

٤. أنَّ نسبة الشكِّ إلى رسول الله ﷺ على «معنى الفرض والتمثيل، كأنه قيل: فإن وقع لك شكٌّ مثلًا وخُيِّل لك الشيطان خبالًا منه تقديرًا ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾... فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله، لا وصف رسول الله بالشكِّ فيه»[٢].

ثانيًا: الفريق النافي لنسبة الشكِّ إلى رسول الله ﷺ، وهؤلاء أوَّلوا الآية الكريمة باحتمالين:

١. أوَّل فريق منهم (إن) بـ (ما) على تقدير: «فما كنت في شكٍّ ممَّا أنزلنا إليك، فاسألوا يا معاشر الناس أنتم دون النبي»[٣]، وأمَّا من جهة النبي فيكون المعنى: «لسنا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنَّك شاكٌّ؛ ولكن لتزداد بصيرة»[٤].

٢. وهؤلاء قالوا: إنَّ الأمر جاء على جهة الشرط، «وَالْقَضِيَّةُ الشَّرْطِيَّةُ لَا إِشْعَارَ فِيهَا الْبَتَّةَ بِأَنَّ الشَّرْطَ وَقَعَ أَوْ لَمْ يَقَعْ»[٥].

هذا ما كان من حال المفسِّرين اتِّجاه النظر في الآية الكريمة محلَّ البحث، وقد توسَّعت آراؤهم حدَّ التناقض، ولا ننكر منطقيَّة بعض ما سيق عرضه من أقوال المفسِّرين؛ إلَّا أنَّ جُلَّها قد حمَّل الخطاب القرآني بحمولاتٍ مبالغًا فيها من حيث المغادرة لروح تركيب الآية وسياقها، فضلًا عن الرفض التام لأي رأيٍ يُسند الشكَّ للرسول ﷺ على جهة الحقيقة بأيِّ شكلٍ أو نسبةٍ مهما كانت؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى الخلل بالرسالة جمعاء، إذ لو جاز الشكُّ منه لكان من غيره أولى. أمَّا أهل البيت عليهم السلام فقد اختلفوا تمامًا في النظر إلى الآية محلِّ البحث وكلِّ ما سبق عرضه؛ ذلك أنَّهم اعتمدوا على بيان سبب النزول في استكشاف المقام الذي صاحب مجريات

---

(١) القشيري، لطائف الإشارات، ج٢، ص١١٥، ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٧، ص٣٠٠.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٢، ص٣٧٠.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٥، ص١٤٩، التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٤٣٠، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٢٦ – ٢٢٧.

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ج٢، ص٣٥٠.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٧، ص٣٠٠.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

الحدث القرآني، ومنه انطلقوا في بيان سبب محاورة الله تعالى لرسوله بهذا النمط التركيبي دون سواه، وقد أفصح عن ذلك الإمام علي بن محمَّد الهادي عليه السلام (ت: ٢٥٤ هـ) بقوله: «فإنَّ المخاطب في ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يكن في شكٍّ ممَّا أُنزل إليه؛ ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبيًا من ملائكته، أم كيف لم يفرِّق بينه وبين خلقه بالاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق؟ فأوحى الله إلى نبيِّه صلى الله عليه وآله: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تفحَّص بمحضر كذا من الجهلة، هل بعث الله رسولًا قبلك إلَّا وهو يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق؟، ولك بهم أسوة، وإنَّما قال: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ ولم يكن، ولكن للنِّصفة كما قال: صلى الله عليه وآله: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، ولو قال: نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونا يجوزان للمباهلة، وقد علم الله أنَّ نبيه مؤدٍّ عنه رسالاته وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي أنَّه صادق فيما يقول؛ ولكن أحب أن ينصفهم من نفسه»[1].

فالإمام الهادي عليه السلام يستحضر تداولية الحدث بأركانه التخاطبية، فيجيب في تحليله عن أهم الأسئلة التي يسعى المنهج التداولي للإجابة عنها في تحليله، وذلك عبر كشفه عن المتكلِّم ثمَّ المخاطب ومستواه الفكري الذي عبَّر عنه بـ (قالت الجهلة)، ثمَّ السبب الذي أدَّى إلى أن يكون هذا الخطاب بهذا الشكل دون غيره، وهو الإنصاف في المناظرة للطرف الآخر، ثمَّ المعرفة المشتركة والثقافة الحاكمة للطرفين، وهي أهل الكتاب بما يحملون من إرثٍ معرفيٍّ عن الأنبياء، وهم في هذا الموطن محلَّ اتِّفاقٍ بين الرسول والكفرة؛ ذلك أنَّ الكفَّار يسلِّمون بأنَّ أهل الكتاب لديهم ثقافة عن الأنبياء السابقين، وبعد ذلك بيَّن القصد من الخطاب، وهو إلقاء الحجَّةِ عليهم باعتراف أهل الكتاب أنَّ الأنبياء كانوا كحالهم من البشر من ناحية المأكل والمشرب والمشي في الأسواق. إذن فالله تعالى ساوى في الخطاب القاضي بنسبة الشكِّ بين رسوله وبين الطرف الآخر

(١) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص ٩٣ – ٩٤، البرهان في تفسير القرآن، ج٤، ص٨٣٢ – ٨٣٣، بحار الأنوار، ج١٠، ص٢٣٣، الميزان في تفسير القرآن، ج١٠، ص١٢٩، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، ص ٧٦ – ٧٧.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

تنزُّلًا وعلى فرض أنَّ الطرفين متساوون في الشكِّ طلبًا للعدالة في الادعاء، وترغيبًا لهم بالدعوة إلى حكم الصَّادقين من أهل الكتاب في حكمهم على قضيَّة لا يمكن لهم نكرانها؛ لكونها من المسلَّمات عندهم، وهي صفة الأنبياء وحالهم بوصفهم بشرًا ليس غير، وقد قرَّب الإمام عليه السلام هذا المفهوم باستعمالٍ آخر للخطاب القرآني، وهو آية المباهلة التي أنصفهم الله تعالى فيها بقوله: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ولم يكن من الكاذبين سواهم، إلَّا أنَّ الإنصاف العلمي في التسليم للمخرجات المتوافق عليه في الحكم يستدعي من الأطراف تقديم أنفسها بخطٍّ مستقيم، وكذلك لغرض التودد إلى المقابل طمعًا في إيمانه وابتغاء تسليمه بما سيؤول إليه الأمر.

ومِمَّا ذُكر آنفًا فإنَّ الإمام الهادي عليه السلام استعان بسبب النزول مع الاستحضار الكامل لمجريات الحدث التواصلي في الكشف عن قصدية الخطاب القرآني، وهذا بعينه ما تبتغيه التداولية بدراستها؛ بوصفها إجراءاتٍ نظريةً وعمليةً في إعطاء وصف دقيق لمكوّنات الخطاب إنتاجًا وتأويلًا، سواء أكان من ناحية دراسة اللغة أم من ناحية استعمالها[١]، ومن هنا قيل فيها بأنَّها: فرع من علم اللّغة، يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلّم، أو هو دراسة معنى المتكلّم؛ لأنَّ المتكلّم كثيرًا ما يعني أكثر ممّا تقوله كلماته[٢] كما مرَّ بنا في تفسير نسبة الشكِّ إلى الرسول صلى الله عليه وآله . ومن أجل هكذا بعض مسائل صناعة الكلام؛ أولت مناهج تحليل الخطاب اهتمامها البالغ في أثرِ المقام في انتقاء الملفوظات ووظائفها التداولية ودلالاتها المرجعية[٣] .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

أَثَرُ المُصَاحَبَةِ المُعجَمِيَّة فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ:

يُعدُّ مفهوم المصاحبة «Collocation» من المجالات المهمَّة في البحث اللغوي، وهي مرتبطةٌ بالعالم الإنكليزي فيرث (Firth)، فهو «أوَّل من وجَّه اللغويين المحدثين إلى الجوانب الشَّكلية المعجميَّة بعامَّة وجانب المصاحبة

(١) ينظر: حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ص ٦١ – ٦٢.

(٢) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص ١٢ – ١٣.

(٣) ينظر: الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص ١٨ – ٣٠ .

بخاصة»[1]، وقد قدَّم (فيرث) مفهوم المصاحبة بوصفها جزءًا «من نظريته الشاملة في المعنى، وقد عدَّ المستوى المصاحبي في التحليل اللغوي مرحلةً متوسطةً بين المرحلة المقامية (Situational) والمرحلة القواعدية(grammatical)، وقد اقترح أن يُعالَج كليًّا أو جزئيًّا مع المعنى المعجمي، أي مع ذلك الجزء من معنى المفردات الذى يعتمد لا على وظائفها في مقامٍ خاص؛ بل على نزوعها إلى أن تترافق في السِّياقات»[2].

ولمَّا وصل مصطلح (Collocation) إلى العرب تُرجم إلى مقابلاتٍ عربيَّةٍ شتَّى منها: (المصاحبة المعجمية، التلازم، الاقتران اللفظي، الرَّصف والنظم، التضام، قيود التوارد)، إلَّا أنَّنا نختار مصطلح (المصاحبة المعجمية)؛ لما تحمل مادَّته (ص ح ب) من معانٍ تكاد أن تكون المحور في التعريفات الاصطلاحية لهذا المصطلح الوافد، ومن معانيه: الرِّفقة والملازمة والاقتران بين شيئين[3]، وهذه المعاني لا تنفكُّ حضورًا في التعريفات التي حُدَّت لهذا المصطلح، وسنقف على بعضها، ومنها: ما حدَّه فيرث وهو «أن تجئ كلمةٌ في صحبةِ كلمةٍ أخرى، على نحوٍ يجعلنا بحكم العادة والأُلف أن نتوقع أن تجيء الكلمتان متصاحبتين»[4]، وتابعه فرانك بالمر فقال عنها: «تعرف الكلمة من خلال قرينتها»[5]، في حين عرَّفها كلٌّ من هاليداي ورقية حسن بأنَّها: «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، نظرًا لارتباطها بحكم هذ العلاقة أو تلك»[6]، وعُرِّفت بأنَّها «ظاهرةٌ لغويةٌ لا تخفى على المتحدث باللغة المعينة، وهى بشكلٍ عام مجيء كلمةٍ في صحبة كلمةٍ أخرى»[7]، أو

(١) عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، ص١٣ .

(٢) عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، ص ١٣ .

(٣) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ج٣، ص١٢٤، ١١. الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، ج٤، ص١٥٤، فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٣٣٥، الزمخشري، أساس البلاغة، ج١، ص٥٣٧، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٢٠ .

(٤) عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، ص١٦ .

(٥) فرانك، بالمر، مدخل إلى علم الدلالة، ص ١٦٩ .

(٦) خطابي، محمد، لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٥ .

(٧) عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

هي الارتباط الاعتيادي لكلمةٍ ما في لغة ما بكلماتٍ أخرى معينة دون غيرها[١]، وقيل: عنها بأنَّها: «تجمعاتٌ معجميَّةٌ لكلمتين أو أكثر، جرت العادةُ على تلازمها وتكرر حدوثها وترابطها دلاليًا»[٢] . ولا تختص ظاهرة المصاحبة بلغةٍ دون أُخرى؛ بل تشمل كلَّ اللغات[٣]، عمومًا من دون استثناء .

أمَّا مادَّة هذه العلاقة التي تتشكَّل بين الكلمات داخل المتواليات فهي علاقةٌ معجميَّة تستمدُّ قوامها من المستوى المعجمي، وفحوى هذه العلاقة تعتمد على إحالة عنصرٍ لغويٍّ على عنصرٍ لغويٍّ آخر، فيحدث الربط بين أجزاء الخطاب باستمرار المعنى السابق في اللاحق، ممَّا يمنح الخطاب صفةَ الاتِّساق المعجمي بين أجزائه . وهذا الأمر يجعل الوحدات المعجمية تتحرك على نحوٍ منتظمٍ في اتِّجاه بناء الدَّلالة الكليَّة للخطاب[٤] . وقد نظر بعضُ اللغويين إلى هذه العلاقة فجعلها على أنماطٍ ثلاثةٍ هي:

أَنْمَاطُ الْمُصَاحَبَاتِ الْمُعْجَمِيَّة:

علاقة التضادِّ أو التقابل، نحو: (ذكر، أنثى) .

علاقة الجزء بالكلِّ نحو: (جسم، يد، لسان، أجزاء لجسم الإنسان)[٥] .

الارتباط بموضوعٍ واحد[٦] .

وسنعوِّل على النمط الثالث في قراءة التصاحب بين الألفاظ القرآنيَّة بوساطة التفسير الموضوعي، أي عبر تفسير الخطاب

اللغوي، ص١١ .

(١) ينظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص ٧٤، يونس، محمد محمد، وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية (دراسة حول المعنى وظلال المعنى)، ص ١٠٣، زكي، حسام الدين كريم، التحليل الدَّلالي إجراءاته ومناهجه، ص ٣٥ .

(٢) ٩٠. هليل، محمد محمد حلمي، في طور التنفيذ معجم جديد للترجمة من العربية إلى الإنجليزية، ص ٢٤٤.

(٣) ينظر: عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، ص٦ . عبد العزيز، محمد حسن، مدخل إلى علم اللغة، ص ١٤٣ .

(٤) ينظر: فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص ١١٣، عزة، شبل، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص ١١٥، ليندة، قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجا، ص ١٢٤ .

(٥) ينظر: لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٥ .

(٦) ينظر: لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٥، لسانيَّات النصّ النظرية والتطبيق مقامات الهمذانيّ أنموذجًا، ص ٣١ .

القرآني بنفسه، وذلك عن طريق إرجاع الآيات التي هي محلُّ النظر إلى الآيات التي ترتبط معها بموضوعٍ واحد، ثمَّ قراءتها على وفق المصاحبات التي تتشكَّل من مجموع الآيتين على وفق السِّياق الذي يتشكَّل من كليهما، وإجراء كهذا لو تمَّ فإنَّه يُثبت عمليًّا اتِّساق الخطاب القرآني؛ لأنَّه يجعل منه خطابًا مترابطًا ومتناسقًا ومتجانسًا بعضه ببعض، وقد أشار بيار جيرو (P.Guirand) إلى سمة التصاحب التفسيري للخطاب، وجعلها جزءًا من سماته حينما وصفه «بأنّه يفرز أنماطه الذاتية وسننه العلامية والدَّلالية؛ فيكون سياقه الدَّاخلي هو المرجع، ليقيم دلالاته حتَّى لكأنَّ الخطاب هو معجمُ ذاته»[1]، وقد كان الخطاب القرآني في كثيرٍ من الأحوال معجمًا للذاته ومرجعًا لمكوناته، ولكن اكتشاف هكذا تصاحبات في الخطاب القرآني فيه من الصعوبة ما يحتاج معه إلى حدسٍ لغويٍّ دقيق، وفهمٍ واعٍ للمفاهيم القرآنية وسياقاتها، ولذلك لا يتسنَّى للجميع . ومن هنا نصطلح على هكذا مفهوم قرآني بـ (المصاحبات القرآنية)، وهي تختلف عن المصاحبات المعجميَّة، ذلك أنَّ التداعي بين الألفاظ في الخطاب القرآني يختلف عن غيره من الاستعمالات الأُخرى؛ لكون القرآن الكريم له نُظمه الخاصَّة في الاستعمال واسناد الألفاظ إلى معانٍ خاصَّةٍ على وفقِ سياقاتٍ معيَّنة، ممَّا قد لا يتوافق مع نظم المعجم في قراءاته لمعاني الألفاظ . وسنسوق مثالين من تفسير الإمام الهادي عليه السلام على نمطين من التصاحب على النحو الآتي:

١. المُصَاحَبَةُ القَبْلِيَّة: وهو التصاحب الذي يتقدَّم فيه المفهوم المفسَّر على ما يفسِّره، وسمَّيناها بالقبليَّة؛ لكون مركز المصاحبة (المفهوم) متقدِّم على المادَّة اللغويَّة التي تُبيِّنه وتفسِّره .

وممَّا ينتمي إلى هذا الحقل التحليلي ما ورد عن الإمام الهادي عليه السلام في بيانه لقوله تعالى: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا**

(١) السد، نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج٢، ص١٦ .

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠٠ – ١٠١].

هذه الجنبة من الخطاب القرآني توحي لأوَّلِ وهلةٍ بإجازة السجود لغير الله تعالى بدليل سجود النبي يعقوب عليه السلام وزوجته وأولاده لولده النبي يوسف عليه السلام، وقد أُثيرَ هذا التساؤل عند الإمام علي بن محمد الهادي (ت: ٢٥٤ هـ) عليه السلام فأجاب عن ذلك بقوله: «وأمَّا سجود يعقوب عليه السلام وولده فكان طاعةً لله ومحبَّةً ليوسف عليه السلام، كما أنَّ السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم عليه السلام، وإنَّما كان ذلك طاعةً لله ومحبَّةً منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب عليه السلام وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكرًا لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾»[1].

فالإمام عليه السلام فسَّر السجود في الخطاب المذكور آنفًا على أنَّه سجود شكرٍ لله تعالى، وهذا المفهوم اقتبسه ممَّا تلا الحديث عن السجود، وهو قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾، وهذه الآية الكريمة تحمل مفهوم الشكر لله تعالى بما حوت من اعتراف يوسف عليه السلام وتعداده لأنعم الله تعالى عليه، وكلُّ ذلك ظاهره الشكر لله تعالى، ومن هنا استقى الإمام علي الهادي عليه السلام مفهوم الشكر الذي جعله مصاحبًا تفسيريًا للسجود، ولم يقتصر هذه المصاحبة على هذا الموضع فحسب؛ بل ضرب لها مثالًا آخر من الخطاب القرآني، وهو سجود الملائكة لآدم عليه السلام.

على أنَّ الإمام الهادي عليه السلام أشار إلى أنَّ الإحالة في ﴿لَهُ﴾ التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ مرجعها إلى الله تعالى وليس ليوسف عليه السلام بدليل قوله عليه السلام: (فسجود يعقوب عليه السلام وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكرًا لله باجتماع شملهم)، فكيف يكون السجود ليوسف عليه السلام وهو معهم ساجد لله تعالى يناجيه ويشكره بتعداد نعمائه عليه، أمَّا الدليل على أنَّ الإحالة مرجعها إلى الله تعالى فبقرينة عدم إباحة السجود إلَّا له سبحانه، وهذا النوع

---

(١) المفيد، الاختصاص، ص ٩٣، الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ص ٤٧٨، البرهان في تفسير القرآن، ج٤، ص٨٣٢، المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠، ص٣٨٧ – ٣٨٨، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، ج٢، ص٥١ – ٥٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

من الإحالة يُسمَّى إحالةً بعديَّة؛ ذلك أنَّ الإحالة ذُكرت قبل مرجعها، والدليل على ذلك بحسب معطيات السياق أنَّ الإحالة وردت في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، ثمَّ بيَّن الذكر الذي تلاه يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي﴾ فتكون لفظة ﴿رَبِّ﴾ هي مرجع الإحالة وإن كانت بصورةٍ غير مباشرة .

وممَّا تقدَّم يظهر من تحليل الإمام عليه السلام أنَّ الخطاب القرآني وحدةٌ متَّسقةٌ ببنيتها الشكلية ومنسجمةٌ بدوالها المعنويَّة، وأنَّه لا يكاد يترك فجوةً معرفيَّة إلَّا فسَّرها وبيَّن مغزاها عن طريق تكوين علاقةٍ تصاحبيةٍ بين طرفي العمليَّة التفسيرية، وهذا الأسلوب منح الخطاب القرآني اتِّساقًا راسخًا بين جزئياته، وانسجامًا عاليًا في مضامينه اللغويَّة .

٢. المُصَاحَبَةُ البَعْدِيَّة:

ونقصد بها تقدُّم مادَّة لغوية تكون بيانًا وتفسيرًا لمفهوم تالٍ لها، بحيث يكون المفسِّر سابقًا للمفسَّر، وممَّا ورد بهذا الشأن ما جاء عن الإمام علي بن محمد الهادي (ت: ٢٥٤ هـ) عليه السلام في معرض بيانه لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩ – ٥٠] .

سأل يحيى بن أكثم الإمام علي بن محمَّد الهادي عن قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: ٥٠] بقوله: «أيزوج الله عباده الذكران، وقد عاقب قومًا فعلوا ذلك؟ فأجابه الإمام عليه السلام: «أي يولد له ذكور، ويولد له إناث، يقال: لكلِّ اثنين مقترنين زوجان كل واحد منهما زوج، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المأثم، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٦٩]»[1]

فالإمام الهادي عليه السلام أرجع مفهوم ﴿يُزَوِّجُهُمْ﴾ إلى ما قبله واستنتج له تفسيرًا وتوضيحًا لدلالته، وقد اعتمد في ذلك على (يخلق ويهب)، فالله تعالى يخلق في الأرحام ما يشاء ثمَّ يهب لمن يشاء الإناث ولمن يشاء الذكور، ثمَّ هناك مسار آخر وهو التزويج، أي يقرن بهبته الإناث والذكور فتتشكل

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ص ٤٧٩، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٣٣٣، المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٦، ص٦٩ .

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

الأزواج بما تحمل من اقتران بين اثنين: الأنثى والذكر، وبعبارة أُخرى يكون مفهوم الأزواج هو خلاف الفرد، أي بهيئة التوائم .

فتشكلت المصاحبة بين مفهوم ﴿يُزَوِّجُهُمْ﴾ وبين المادة اللغوية التي قبله بوصفها تفسيرًا له، وهذا الاقتران بين جهتي عملية التفسير منح الخطاب اتِّساقًا على مستوى تعالق الألفاظ بعضها ببعض، وانسجامًا على أساس علاقة المفسَّر بالمفسِّر، وهذا الأسلوب بالتأليف يجعل من الخطاب كتلة متماسكة الاطراف ومتَّسقة الأجزاء .

وممَّا سبق تتبيَّن رؤية ولو على نحو الإيجاز بالأسس التي اعتمدها الإمام الهادي عليه السلام في تفسير القرآن الكريم وتحليل خطابه، وقد كانت تلك الأسس في كثيرٍ منها غائبة عن كثيرٍ من المفسِّرين ممَّا جعلهم يقعون في اشتباهاتٍ كثيرة.

الخاتمة:

للخطاب القرآني أسس وقواعد لابدَّ من الإحاطة بها قبل أن إصدار الأحكام، وتلك الأسس مكمنها الأوَّل عند أهل البيت عليهم السلام؛ بوصفهم عدل القرآن والقفل الموازي له.

ظهر جليًّا أهميَّة معرفة مرجعيَّات المشاركات الخطابيَّة في القرآن الكريم، وتميز مشاركات الله تعالى عن غيره ممَّا نقلها تعالى عن غيره في كتابه، وقد كان للإمام الهادي عليه السلام جهدٌ في بيان نماذج منها.

لا يمكن في كثيرٍ من الأحيان فصل أسباب النزول عن الآيات المرتبطة بها، وقد تبيَّن أهميَّتها التفسيريَّة عند الإمام الهادي عليه السلام، على أنَّنا لا نجعلها حدًّا للدَّلالة القرآنيَّة بقدر ما نجعلها قرينةً على بيان تلك الدَّلالة.

تُشكِّل المصاحبات بين الألفاظ القرآنيَّة مادَّةً خصبةً في تحليل الخطاب القرآني وتفسيره، وقد بيَّنت الدِّراسة منها نمطين: مصاحبة قبليَّة وأُخرى بعديَّة.

أظهرت الدِّراسة بشيء موجز أهميَّة تفسير الإمام الهادي عليه السلام وخصوبته المعرفيَّة بما قررته من نماذج وما بيَّنته بالمقارنةِ مع التفاسير المعتمدة عند المسلمين.

المصادر والمراجع:

١. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.

٢. ابن فورك، الإمام العلَّامة أبو بكر محمد بن الحسن (ت: ٤٠٦ هـ)، تفسير ابن فورك – من أول سورة نوح – إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق سهيمة بنت محمد سعيد محمد أحمد بخاري، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م.

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٤. الأرمي، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

٥. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت: ٣٧٠ هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦. آل مريع، أحمد بن علي، الخطاب الجنون الحضور الفيزيائي والغياب الثقافي، شركة العبيكان للتعليم، الرياض، ط ١، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤ م.

٧. إمبرتو، إيكو، القارئ في الحكاية – التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة، انطوان أبو زيد، ط١، ١٩٩٦م.

٨. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (د ط)، ١٤٢٠ هـ.

٩. الباردي، محمد، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٤ م.

١٠. البازعي، سعد، الرويلي، ميجان، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان،

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

ط٤، ٢٠٠٥ م .

١١. البحراني، السيد هاشم (ت: ١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، (د ط)، (د ت) .

١٢. البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ .

١٣. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود محيي السنة (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م .

١٤. البوطي، محمّد سَعيد رَمضان، من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله (عزَّ وجلَّ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.

١٥. التهانوي، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر(ت: بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية جورج زيناني، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

١٦. الثعلبي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم (ت: ٦٣١هـ)،الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان (د ط)، (د ت) .

١٧. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (ت: ٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق مجموعة من الباحثين، أشرف على إخراجه صلاح باعثمان، حسن الغزالي، زيد مهارش، أمين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥م.

١٨. الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.

١٩. الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب - غريب القرآن الكريم، تحقيق طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م .

٢٠. الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ)، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ

٢١. لإحياء التراث، ط٢، مهر، قم، ١٤١٤ هـ .

٢٢. الحراني، ابن شعبة (ت: ق ٤)، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤٠٤ هـ، ١٣٦٣ ش .

٢٣. حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ط١، ٢٠١٥م .

٢٤. خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٣، ١٤١٩ هـ، ٢٠٠٧ م .

٢٥. الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٦. دومنيك ،مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م .

٢٧. الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د ط)، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٨. الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ .

٢٩. الزحيلي، محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط٢، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

٣٠. زكي، حسام الدين كريم، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠ م .

٣١. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)،

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٣٢. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.

٣٣. السد، نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، الجزائر، ١٩٩٧ م .

٣٤. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: ٣٧٣هـ)، بحر العلوم، (د ط)، (د ت).

٣٥. السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ)، القرآن في الإسلام، تعريب السيد أحمد الحسيني، (د ط)، (د ت).

٣٦. السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، (د ت) .

٣٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٣٨. الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحوية العربية، جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠١ م .

٣٩. شبل، عزة، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تقييم سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م .

٤٠. شرشار، عبد القادر، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٦ م .

٤١. شريد، صائل رشدي، عناصر تحقيق الدلالة العربية "دراسة لسانية" الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م .

٤٢. الشريف الرضي (ت: ٤٠٦ هـ)، حقائق التأويل، شرح محمد رضا آل كاشف الغطاء، دار المهاجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٣. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، حققه وقدم له وصنع

فهارسه: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٣٧٤ هـ، ١٩٥٥ م.

٤٤. الشعراوي، محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، (د ط)، (د ت).

٤٥. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٦. الشيخ الحويزي (ت: ١١١٢ هـ)، تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط٤، ١٤١٢ هـ - ١٣٧٠ ش.

٤٧. الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، التوحيد، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، (د ت).

٤٨. الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، ١٣٧٩، ١٣٣٨ ش.

٤٩. الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، تقديم السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.

٥٠. الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح، أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، رمضان المبارك ١٤٠٩هـ.

٥١. صحراوي، إبراهيم، تحليل الخطاب الأدبي - دراسة تطبيقية، دار الآفاق، ط ١، ١٩٨٨م.

٥٢. الطاهر، ابن عاشور محمد بن محمد بن محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.

٥٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: ٣١٠هـ)، تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار

هجرعبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م .

٥٤. الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، (د ت) .

٥٥. ظاظا، حسن، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م .

٥٦. عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، ١٩٩٠م، ١٤١٠ هـ .

٥٧. عبد العزيز، محمد حسن، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة، ط:٢، ١٩٨٨م، ١٤٠٩هـ .

٥٨. عبد زيد، هيام، الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، (د ط)، ٢٠١٢ م .

٥٩. العتوم، مهى محمود إبراهيم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤م .

٦٠. العربي، ربيعة، الحد بين النصّ والخطاب، مجلة علامات، العدد٣، ٢٠١٠م.

٦١. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، العجاب في بيان الأسباب، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، (د ط)، (د ت) .

٦٢. عكاشة، محمود أحمد، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللّغة – دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، ط١، ٢٠١٤م .

٦٣. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م .

٦٤. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م .

٦٥. الغرناطي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١،

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

١٤١٦ هـ .

٦٦. فرانك، بالمر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة خالد جمعة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط١، ١٩٩٧م .

٦٧. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د ط)، (د ت).

٦٨. فرج، حسام أحمد، نظريَّة علم النصّ، رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ، تقديم سليمان العطّار، محمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م .

٦٩. فرنسوانز، أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الاتحاد القومي، الرباط، المغرب، (د ط)، ١٩٨٦ م.

٧٠. القرطبي المالكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي (ت:٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف الشاهد البوشيخي، الناشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨م.

٧١. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤ م .

٧٢. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات - تفسير القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، (د ت) .

٧٣. كفافي محمد عبد السلام، الشريف، عبد الله، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، (د ت) .

٧٤. كلاوس، برينكر، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الاساسية والمناهج، ترجمه وعلق عليه ومهد له سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة،

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

ط١، ١٣٢٥هـ، ٢٠٠٥م .

٧٥. ليندة، قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق - مقامات الهمذاني أنموذجا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥ م .

٧٦. الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي - تأويلات أهل السنة، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥م.

٧٧. مأمون، حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين - الوحيينِ: القرآن والسنة الصحيحة - على فهم الصحابة والتابعين، تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، المدقق اللغوي أحمد راتب حموش، ط١، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.

٧٨. المجلسي، العلامة محمد باقر (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار تحقيق يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢ المصححة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣ م .

٧٩. المروزي، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م .

٨٠. المشهدي ،الشيخ محمد بن محمد رضا القمي (ت: ١١٢٥هـ)، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق حسين درگاهي، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م .

٨١. مشيل فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، مركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧ م .

٨٢. المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الحارثي (ت: ٤١٣ هـ)، الاختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤، ١٩٩٣ م .

٨٣. مؤسسة ولي العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف للدراسات الإسلامية، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، إشراف: سماحة السيّد محمد الحسيني القزويني، السيّد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، السيّد محمد الموسوي، الشيخ عبد الله الصالحي،

مطبعة: شريعت، مؤسّسة وليّ العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف للدراسات الإسلاميّة، قم المشرّفة، ط١، محرم الحرام ١٤٢٤ هـ.

٨٤. ميشال فوكو، جينالوجيا المعرفة، ترجمة أحمد السلطاني وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٨م .

٨٥. نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، ٢٠٠٢م .

٨٦. النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤م.

٨٧. هليل، محمد محمد حلمي، في طور التنفيذ معجم جديد للترجمة من العربية إلى الإنجليزية، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٨، عدد ٣، مارس ٢٠٠٠م .

٨٨. الهندي، صفي الدين محمد بن عبد الرحيم (ت: ٧١٥ هـ)، نهاية الوصول في دراية الأصول، تحقيق صالح بن سليمان اليوسف، سعد بن سالم السويح، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م .

٨٩. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م

٩٠. يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٥ م .

٩١. يونس، محمد محمد، وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية - دراسة حول المعنى وظلال المعنى)، منشورات جامعة الفاتح، (د ط)، ١٩٩٣ م .